سلسلة لقاءات

التقوى

أ. أناهيد السميري

ألقيت في شوال ١٤٣١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
نحمده سبحانه وتعالى أن أمدّ في الأعمار، وأن فتح أبواب الطاعات، ونسأله سبحانه وتعالى كما يَسَّر أبواب الطاعة وبالذات باب العلم نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه الأبواب التي فتحها سببًا لرفعتنا، وكما يسّر لنا الصيام والقيام، نسأله سبحانه وتعالى أن يقبله، وكما يسّر لنا قضاء شهر رمضان في طاعته، نسأله أن ييسّر لنا قضاء باقي أعمارنا في طاعته، وأن يحسن لنا الخاتمة وأن يجعلها على توبة وشهادة؛ نتيقّن بها بلقائه من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلّة.. اللهم آمين.

أذكركم **بعبادة الشكر**، فإن النعم تزيد وتدوم وتستقرّ بالشكر، وإذا شعرت أن العلم نعمة، زاد الله لك هذا الباب من حيث لا تحتسب، فتصبح بدلاً من أن تتعلّم ساعة في الأسبوع أو ساعتين أو حتى ثلاث، تُفتح لك أبواب العلم مِن كل جهة وفي كل وقت.
ثم إن مِن بركات الشكر أن ينتفع الإنسان بما رُزق، فليس كل من رُزق شيئًا انتفع به، فإذا كنت شاكرًا للنعمة، اعلم أن الشكر طريق للانتفاع بالنعمة، والعلم مِن أعظم النعم، والانتفاع به ليس لكل أحد، فأنتم من المؤكد أنكم ترون كثير من الناس عندهم علم، لكن لا يؤثّر هذا العلم على حياتهم وسلوكهم، وتفكيرهم، وقربتهم، وانتفاعهم بأوقاتهم، فلا يكفيني مجرد العلم، لابد أن يكون علمًا مباركًا.
مَنْ الذي ينزل البركات على العلم، وعلى الحياة وعلى كل شيء؟ لا ينزلها إلا مَن تبارك اسمه وتعالى جدّه.
نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين لهذه النعمة ولكل النعم، وأن يجعل هذا الشكر سببًا لزيادة هذه النعم – وبالذات نعمة العلم– وأن يجعل العلم علينا مباركًا، وأن يجعلنا مباركين أينما كنّا، فلا زال اللسان يلهج بحمده سبحانه وتعالى، والثناء عليه أن يسّر لنا مِن جديد أن نلتقي من أجل أن نتعلّم، نسأله سبحانه وتعالى أن يبارك لنا، وأن يحفظنا علينا هذه النعمة، وأن لا يحرمنا بذنوبنا، اللهم آمين.

سيكون موضوعنا الكلام عن (التقوى)، هذه الكلمة العظيمة نسمعها دائمًا، ونُؤمر بها، ونأمر بها، فنحن نسمع كلمة التقوى، وإذا رأينا نوعًا مِن المخالفة نقول: اتق الله، ونحن يقال لنا: اتقوا الله، فما هي هذه التقوى العظيمة التي هي شعار أهل الإيمان؟
لك أن تتصور مكانة هذه التقوى، التقوى شعار أهل الإيمان، فما التقوى التي هي شعار أهل الإيمان؟
سنقرأ كلامًا لأهل العلم، لكن كأنك تقول أن هذه تعبيرات حول معنى عظيم يصعب إتقان التعبير عنه، لماذا يصعُب إتقان التعبير عنه؟ فلو سألتك عن التقوى، أين مكانها؟

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى صدره فقال: ((التَّقْوَى هَا هُنَا))[1]، فلما يكون مكان التقوى القلب، هل الفعل القلبي وصفه أمر يسير؟

لا، توصيف العمل القلبي ليس بالأمر اليسير، سواء ما يحبه الله من الأعمال القلبية أو ما يبغضه الله، فنحن كانت علّتنا لسنين ونحن بعيدون عن باب الله في ماذا؟

أن قلوبنا لم يكن لها مكانها عندنا، وكنا نتصور أن التعامل مع الله على الظاهر، مع أنّ في مناهج المملكة حديث ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))[2]، فهذا من أول الأحاديث التي يحفظها الطلاب، وحديث ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))[3]، مِن أول الأحاديث التي تحفظ عند الطلاب، ومع ذلك لم تكن أعيننا ملتفتة إلى قلوبنا، فعِشنا نوعًا من الغفلة، نسأل الله أن يغفر لنا ما مضى.

معنى ذلك أنك عندما تنظر إلى ما يحبه الله في القلب وما يبغضه الله من الأفعال، وتسمعها، وتريد أن تعرف هل أنت من أهل الأفعال التي يحبها الله؟ أو هل أنت من أهل الأفعال التي يبغضها الله؟ تجد أنّ مقياسنا ضعيف فيها.

مثلا: الكِبْر، هذا الداء العظيم الذي تكفي منه مثقال ذرة لمنع الإنسان من دخول الجنة! هذا الكبر كم سمعنا عنه؟ كم خِفْنا منه؟ ومع ذلك لم نعرف تشخيصه بداخل قلوبنا، لدرجة أنه عندما يتكلم أحد عن الكبر، أتصور أنني في جهة والكبر في جهة أخرى! لكن لو شخصت لك الكبر، فقلت لك: ((الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[4]، ثم نشرح ما معنى غمط الناس تفصيلاً؛ أي أن إنسانًا يرى أنه ليس لأحد حقّ عليه، فيَمُرّ على المسلمين، أليس مِن حقوقهم السلام مثلا؟ فهو يمرّ عليهم ولا يتحرّك قلبه تجاه حقهم، وهذه هي القيمة المفقودة العظيمة، وهي (قيمة احترام الحقوق)، نجد هذه القيمة تتناقص كل يوم، وعندما تسمع عن قيمة الاحترام نتصور أن قيمة الاحترام فقط أن أحدًا يكلمني ولا يحترمني..

لا، قيمة الاحترام لو أردت أن توسعها ستجد أن لها مجالات واسعة:

- فكلمة الاحترام في حقّ الله اسمها (تعظيم الله).
- وقيمة الاحترام في حق النبي صلى الله عليه وسلم اسمها (توقير النبي صلى الله عليه وسلم).
- وقيمة الاحترام في حق الصحابة الكرام (محبتهم، و الثناء عليهم، وذكر كل ما يطيب الخاطر عنهم).
- وقيمة الاحترام للوالدين تسمى (برهم).
- وقيمة الاحترام للإخوان تسمى (الأخوة).

---

[1] رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب/ باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ/ ٦٧٠٦).

[2] رواه البخاري (كِتَاب بَدْء الْوَحي/ ١).

[3] رواه البخاري (كتاب بدء الوحي/ باب فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ/ ٥٢)، ومسلم (كتاب المساقاة/ باب أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ/ ٤١٧٨).

[4] رواه مسلم (كتاب الإيمان/ باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ/٢٧٥).

– وقيمة الاحترام للممتلكات وللطرق و للشوارع، كل هذا له قيمة احترام.

ومن آثار قيمة الاحترام للممتلكات؛ أن تعتقد أنها أمانة، إلى أن تصل إلى أنك تحترم الطريق بأن تتقرب إلى الله بأن تميط الأذى عن الطريق، إلى هذه الدرجة هذا شخص محترم.

فما هو الكبر بعد هذا الكلام كله؟ أن تعتقد أن ليس لأي شيء من هذا حق، فلا أنت معظم لله، ولا أنت موقر للنبي صلى الله عليه وسلم وكلامه، فنحن للأسف أصبحنا نسمع من شبابنا وشاباتنا كلاما على كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا تستطيع أن تسمعه، فضِدُّ الكبر: أن تكون لله معظِّمًا، ولنبيِّه موقِّرًا، والكبر أن تفقد التعظيم لله تعالى، وأن تفقد التوقير للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن تفقد سلامة الصدر للصحابة، إلى أن تصل إلى أنك تمر على ما في الطريق من أذى فتستكبر عن إماطته!

لكن هناك أشياء تستقذرها، تستقذر مختلف عن تستكبر، فتستقذر؛ هذا يكون أمرًا لا تستطيعه ونفسك لا تقبله، أي أنه قذر، فهذا لا علاقة له بالتكبر، لكن هناك أمور تقول عنها: وما شأني أنا؟ الأمر لا يخصني، والمشكلة أننا لا نقول لك أمط أذى الآخرين، نقول أمط أذاك أنت الذي تركته للخلق، فكم في المطارات وفي غيرها الناس يستمتعون بما يأكلون ويشربون ثم ليس لهذه الطاولة مثلًا أو لهذا الكرسي حقها عندهم؟ تترك كل شيء مكانه! فنقول: هؤلاء ما تعلموا النظافة ! لا، بل نقول أن هؤلاء ما تعلموا احترام الدين، في قلوبهم شيء من الكبر غير المحسوس، ونحن نتكلم عن الناس الذين يكون ظاهرهم مرتب وأحوالهم جيدة، ثم في النهاية يقومون عن الطاولة وهي شيء لا يوصف، ولا أتكلم عن شخص آتٍ من البادية ولا يعرف، هذا قد لا يعرف ماذا يجب أن يكون، لكنني أتكلم عن شخص يعرف ماذا يجب أن يكون، فلماذا البنت التي في المدرسة مثلا تمسك بآلة حادة وتتلف طاولتها؟ ما العدوانية التي تحملها في قلبها؟ هذه القيمة ليست موجودة؛ قيمة احترام الممتلكات واعتبار أنها أمانة، وأنني سأقف بين يدي الله أُسأل عنها، أتعتقد أن الناس سائرون وليس وراءهم شيء؟! لا، بل أعدّ لكل سؤال جوابًا، إلى أي درجة تعاملت مع كل ما ملكك الله كما يحب الله؟

وهذا كله حتى أناقش كبيرة الكبر، فستجد أنها تدخل في أشياء لا تمر على خاطرك، ومن هنا أتتنا المشكلة.

إذن مشكلتنا أننا عندما نتكلم عن العبادات القلبية وعكسها الأمراض القلبية، نجد أن المسألة واسعة يصعب النقاش حولها، فتستلزم منا زمنًا طويلا من أجل أن نأتي على هذا المفهوم من كل جوانبه، فالكبر كان مجرد مثالًا.

أذكر بعض كلام أهل العلم، وهذا غيض من فيض، فكوني أستطيع أن أجمع كلام أهل العلم حول التقوى هذا أمر بعيد، لكن سأذكر بعض كلامهم تكون فيه إشارات، ثم أفهم ما العمل الذي يجب أن أقوم به في قلبي لأكون شخصًا متقيًا.

- **نبدأ بمعنى التقوى عند كلام أهل العلم .**

قال طلق بن حبيب : "التقوى : أَن تَعْمَل بِطَاعَة اللَّه ، عَلَى نُور مِن اللَّه ، تَرْجُو ثَوَاب اللَّه ، وَأَن تَتْرُك مَعْصِيَة اللَّه ، عَلَى نُور مِن اللَّه ، تَخَاف عِقَاب اللَّه" .

نرى المفاهيم الثلاثة في تعريف طلق بن حبيب، وهذا تعريف كثير من العلماء اعتنوا به.

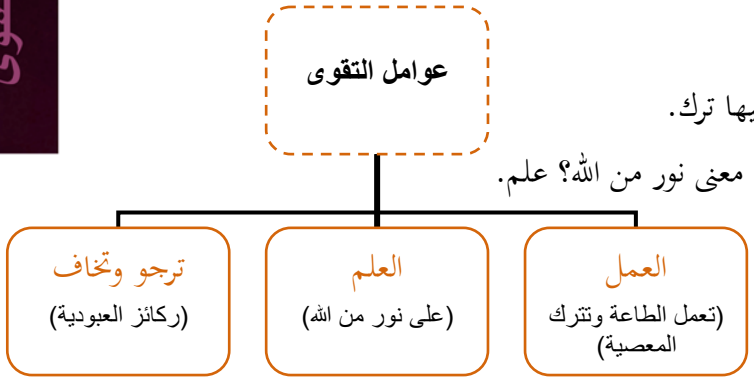

- **العامل الأول:** العمل، أن تعمل أو تترك،

تعمل بطاعة الله وتترك معصية الله، فالتقوى فيها عمل وفيها ترك.

- **العامل الثاني:** العلم، أن يكون عندك علم، فما معنى نور من الله؟ علم.
- **العامل الثالث:** ترجو وتخاف.

(ترجو وتخاف) عبارة عن ماذا؟ سيكون في قلبك، أي سيكون عندك خوف ورجاء، وهو ما نسميه بركائز العبودية، نسمي الخوف والرجاء و المحبة ركائز العبودية، أي أن تصل إلى حال أن تعمل بطاعة الله، وأن تترك معصية الله، هذه هي النتيجة الأخيرة، هذه هي التقوى، أن تعمل بالطاعة وتترك المعصية، لكن ليس كل عمل بالطاعة أو ترك للمعصية يسمى تقوى.

- **العامل الأول: العلم**

هذا أهم عنصر وهو الأساس الذي أبدأ به، لأنك لا تستطيع أن تتقي إلا وأنت تعلم، تعلم ماذا ستتقي، فالشخص عندما يتقي شيئًا فماذا يفعل؟ يتجنبه.

مثلا: ستخرجين من الباب، ثم تكادين تصطدمين به، فيمكن أن يقال لك: اتقي الباب، أي تجنبيه لا تصطدمي به، فأنت من أجل أن تتقي ما يضرك لا بد أن تعلمي ما يضرك.

مثال آخر: تصوري أن هذه القاعة تدخلينها لأول مرة، وكانت مظلمة، ولا تعرفي ماذا يمكن أن تواجهي من الباب إلى النهاية، حتى أنك لا تعرفين أين هي النهاية، فكم ستتخبطين، وتتألمين، وتقعين، وتحتاجين إلى وقت طويل لتحسني السير جيدا، ولو أحسنت وسرت في الظلام لن تعرفي كيف تعودي للمكان الذي تريدين الخروج منه، وهكذا الشخص عندما يفقد العلم، تكون الحياة كالغرفة المظلمة لا يعرف ما الشيء الذي يبتعد عنه، والشيء الذي يقترب منه، فيكون مثلًا هذا المحبوب شيء أغراه، يمسكه فيجده لينًا في الظلام، فيشعر أنه يمكن أن يصلح لأن يكون وسادة يتكئ عليها، ثم عندما يشعل النور يجده فأرًا ! فهكذا عندما لا يكون عندك علم، تتصور أن هذا الشيء الذي أتاك جميل ورخو، فعندما يأتي العلم يكشف لك الحقيقة مثل النور، فتكتشف أن هذا الشيء كاد أن يهلكك.

لذلك أنت لا تستطيع أن تتقي، وتبتعد عما يضرك إلا عندما يكون عندك علم، فأول التقوى علم من أجل التقوى، فأهم شيء هو ماذا تريد من العلم؟

فقد يكون مقصدك من العلم الدرجات العلمية، وقد تكون مجتهدًا ومقدمًا الأبحاث من أجل أن تحصل على حرف (د) أو (أ).. إلى آخره، أو من أجل أن تنجح في الاختبارات وتمضي -نسأل الله أن يغفر لنا-، كان يُعرض علينا ونحن نتعلم أنواع التوحيد كلها، فلو كان المرء واعيًا لانتفع منذ ذاك الزمان، وهذا لا يمنع أنه كانت هناك عوامل أخرى مثل المعلمين، كانوا سببا، لكن حتى وإن كان المعلمون، كانت الكتب موجودة، والمناهج موجودة إن كان هناك من يريد الحق، لكن لأن كل التفكير هو أُدرس من أجل أن تنجح، من أجل أن تتخرج من الجامعة، كل هذه المنظومة التي لا نهاية لها، التي أفسدت حياتنا، ثم في النهاية تخرجنا، ومرةً واحدة تصورنا أننا وصلنا، حتى أننا لو وُصفنا، لوُصفنا بأنا كالـ(بسكوتة)، أرأيت كيف هو شكل (البسكوتة)؟ مرتبة وجميلة، لكنها هشة، وأقل شيء يكسرها، فهذه هي حالنا، إلى أن نبهنا الله إلى العلم، إلى أن تبين الأمر بأنه لا يصح ذلك، بل أنت مع كل الذي تحفظه لكن هناك مقصد خاطئ بداخل قلبك وأنت تتعلم، لذلك لن تحل عليك بركات العلم، **أتعلم لأجل التقوى**.

إذن العنصر الأول الذي به تتشكل التقوى هو العلم، لكن ليس أي علم، حتى وإن كنا نتكلم عن العلم الشرعي، ليس أي علم شرعي، بل علم أنت تتعلمه من أجل أن تتقي، فكلما سرت في مكانًا وسرت خائفا تُحصِّل نوعا من العلم من أجل أن تتقي الخطر، ومن أجل أن تفعل الصواب.

تصوّر أنك تريد أن تبيع ذهبًا، وتريد أن تشتري ذهبًا جديدًا، وهذا موقف بسيط قد يمارس من النساء كثيرًا، ولديك مؤشر يقول أن هذا الباب لابد أن أسال عنه قبل أن أذهب، ثم جارتك تقول لك: هذا بيع وشراء وربنا حلَّل البيع، فتذهب والبائع يبايعك بيعًا غير صحيح في الذهب، وهو بيع التبادل؛ بمعنى أنك تختار ما تريد شراءه أولًا ثم كأنكم تبادلتم، وهذا بيع محرم، والمفروض أنك تبيعه في مجلس وتقبض، ثم لما تقبض مالك تشتري ما تريد، فالذي ينظر إلى الأمر من الخارج وليس عنده تقوى يقول إن الأمر سِيّان .. لا، ليس سيان، فعندما تمارس المسألة تفهم ماذا يعني أنه ليس سيان، فأنت مالك لديك ثم بعد ذلك تَصَرَف كما تريد، الحق لك، وهذا أمر مختلف عن المبادلة، ودون أن نتكلم عن المصالح في هذا البيع، يكفي أن الشريعة أمرت بهذا.

فالآن التقوى تأتي من قبل، وهناك مشاعر في الداخل أن هذا الباب يمكن أن يكون سببًا لزلة القدم، وجارتك تقول لك: لا تعقّد المسألة، ولا توسوس! فالذي يُحرم من نور العلم يدخل في ظلمة اللامبالاة.

لو قلت: **ماذا يقابل التقوى في سلوك الخلق؟**

شخص متق، فما الذي يقابله؟ شخص غير متق، وكيف تعبّر عن هذا غير المتقي؟

أرأيت عندما يكون أحد أبنائي محافظًا على أغراضه ومُرتّبا، ويحفظ أقلامه من أن تضيع، وآخر غير مبالٍ، وكل شيء عنده كما اتفق، ليس لديه تفكير، فأنت إما أن يكون معك نور العلم، وهذا لو كان علمًا من أجل التقوى سيسبب لك التقوى، وإما أن تكون لا باليًا، كل شيء كما اتفق ولا تفكر، بل إن اللاّمبالي يرى المتقي موسوسًا؛ ولهذا لابدّ وأنت متّقٍ أن تكون قدمك راسخة، حتى لا يأتيك أحد فيقول لك أنك موسوس، فتشعر بمشاعر أنك موسوس.

هذا هو العامل الأول، وهذا العامل يحتاج إلى تفصيل وسيأتينا إن شاء الله خلال الكلام.

- **العامل الثاني: ترجو وتخاف.**

شخص تعلّم، والعلم إذا كان من أجل التقوى سيورث العبد محبةً لرضا الله، أي: أنك ستتعلم من أجل أن تتقي ما يسخط الله عليك، إذن العلم هذا أورث في قلبك محبة الله، فستكون دائمًا راجٍ في سلوكك أن يرضى الله، وخائفًا من سخطه عليك، أرأيت عندما تحبّ أحدًا؟ يكون كل همّك أن لا يغضب عليك، وتحمل همَّ سخطه، وفي نفس الوقت يكون في قلبك رجاء قوي أن يحبك، ولما يقال لك: لو ذكرته ذكرك، ولو أثنيت عليه أثنى عليك في الملأ الأعلى، ولو عاملته ربحت، فيزيد شوقك أن تذكره ليذكرك، وأن تثني عليه ليثني عليك في الملأ الأعلى، وأن تعامله فتربح من معاملته، فيبقى عندك واحد فقط تدورين في فَلَك رضاه.

هذا هو المفترض أن يكون أثر العلم؛ أثر العلم الذي تريد به التقوى هو أن يقع في قلبك الحب له، وطلب معاملته، ويبقى تفكيرك كله في رضاه.

إذن ما هو هذا العلم؟

هو علم التوحيد، وبالذات علم الأسماء والصفات، الذي تأتي من ورائه كل العلوم، فهذا العلم بالذات يورثك التقوى، فلو تعلمت العلم الذي يجعل قلبك لواحد، ولا يتشتت قلبك عن هذا الواحد، بعدها سيقع في قلبك أنك تريد أن تتعلم كيف تتصرف مع هذا الواحد، كيف ترضيه، من عند دخولك إلى الخلاء إلى عند بيعك وشراءك، كل هذا لأنك تريد أن تتصرف بالصورة التي ترضيه، لماذا؟ لأن قلبك دائرٌ حول رضا واحد.

وكثير منكم جرَّب هذه التجربة، تعلم أشياء كثيرة، ودخل دورة فقه، وتجويد، ومع ذلك القلب يسير إلى الخلف وليس إلى الأمام، وتجدنا نقول كلامًا جميلًا، ونفتح الكتب ونفسر للناس الآيات، لكن هناك شيء في الداخل غير موجود، تشعر أنك ريشة في مهبّ الريح! تشعر أن أي شيء يمكن أن يشكلك، إلى أن رزقنا الله بالعلم عنه، إلى أن بدأنا نفهم أن هناك شيئًا اسمه العلم عن الله، إلى أن فهمنا باب الأسماء والصفات.

وأنا أسأل الناس الذين جربوا: هل ترون صحة هذه الجملة:

نقطة التحول في معاملة القلب مع الله مبنية على العلم عنه؟

نعم. نحن قبل أن نعرفه، كنا نتعامل معه سبحانه وتعالى، لكن لم يكن هناك هذه الكلمة الخفية (التقوى)، ولا يوجد محاولات في الداخل، هل هذا يصلح أو لا يصلح، هل يرضيه أو لا يرضيه، لم تكن توجد هذه المحاورات، لكن كأنَّ خطًا رُسم لك، وقيل لك: صلّ، صُمْ، افعل، وسِرْت فيه، لكنك تشعر أن بدنك يسير وقلبك يسير إلى الوراء، فبدنك يقوم الليل ويصوم النهار ويفعل كل شيء، لكن قلبك إلى الوراء، في المقابل لما تعرف الله، وإن كان القلب يسير ببطء لكن على الأقل يسير في نفس الاتجاه، أي: أنك لا تجد بدنك يسير للطاعة وقلبك يسير إلى المعصية !

فأصبح القلب يسير مع البدن وإن كان البدن قد يكون أسرع من القلب، و قد نركع ونسجد، ونركع ونسجد في التراويح وما وجدنا قلوبنا إلا في أول ركعة، أو آية مُعيَّنة، أو تسبيح معين، أو دعاء معين، لكن المهم أن القلب يسير في نفس الاتجاه.

إذن كم عامل لدينا يسبب التقوى من كلام طلق بن حبيب؟ ثلاثة عوامل:

١. أن تعمل وتترك.

٢. أن تتعلم.

٣. أن ترجو وتخاف.

قلنا أن العامل الرئيسي الذي يأتي ببقية العوامل هو (نور من الله)، وانظري لتعبيره، وَصف العلم بأنه نور من الله، وهو كذلك، فأنت عندما تتعلم عن الله تجد كأن نارًا اشتعلت في القلب فأنارت، فترى كل شيء على حقيقته، فكلما زاد هذا العلم زادت قوة النور والإضاءة ومعرفة الأشياء على حقائقها.

بعد هذا العلم تأتي المحبة، والمحبة إن وجدت أتى الرجاء والخوف، فالعلم عن الله يأتي بالمحبة، وعندما تحب أحدًا وتدور في فلك حبه، ما الذي سيخرج منك؟ تخاف أن يغضب، وتخاف أن يسخط، وكل تفكيرك هو أن تعمل الأعمال التي يبقى بها راضٍ عنك، و أخشى ما تخشاه أن يبغضك، وفي الجهة الأخرى تبقى راجيًا أن تذوق أثر رضاه عليك، فالعلم الذي هو علمٌ عنه سبحانه وتعالى يورث في قلبك المحبة، والمحبة تأتي بالأمرين: بالخوف والرجاء، فإذا خفت أن تسقط وأن لا يرضى عنك تركت معصيته، وإذا رجوت أن يُقبل عليك و أن تذوق برد رحمته عملت بطاعته.

فعلى ذلك دارت التقوى في أصلها على **العلم**، ثم أن هذا العلم هو النور، وهذا العلم يورثك المحبة، وإذا أتت المحبة خرج من المحبة شعوران: الخوف والرجاء، هكذا عبري عن الخوف والرجاء أنه هو الذي يأتي من المحبة، تخاف من ماذا؟ أي محبوب أن تخاف أن تغضبه، فهذا في كلامنا نحن، ففي حق الله أنت تخاف أن يسخط عليك، وأن يغضب عليك، وأي محبوب تحبه فأنت ترجو وَصْلَه، فإذا أحببت الله كان في قلبك رجاء وصله، رجاء عطائه، ترى بَرد رحمته، فهذا كله يجعلك ترى العلم هو منطلق المحبة، و المحبة تأتي بالخوف و الرجاء، والخوف يأتي بترك ما يسخط الله، والرجاء يأتي بعمل ما يحب الله، هذا هو تعريف طلق بن حبيب.

كيف تأتي هذه التقوى من العلم؟

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:

"وَقَدْ رَكَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْإِنْسَانِ نَفْسَيْنِ: نَفْسًا أَمَّارَةً وَنَفْسًا مُطْمَئِنَّةً، وَهُمَا مُتَعَادِيَتَانِ، فَكُلُّ مَا خَفَّ عَلَى هَذِهِ ثَقُلَ عَلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا الْتَذَّتْ بِهِ هَذِهِ تَأَلَّمَتْ بِهِ الْأُخْرَى، فَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَإِيثَارِ رِضَاهُ عَلَى هَوَاهَا، وَلَيْسَ لَهَا أَنْفَعُ مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ دَاعِي الْهَوَى، وَلَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ أَضَرُّ مِنْهُ، وَالْمَلَكُ مَعَ هَذِهِ عَنْ يَمْنَةِ الْقَلْبِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ تِلْكَ عَنْ يَسْرَةِ الْقَلْبِ، وَالْحُرُوبُ مُسْتَمِرَّةٌ لَا تَضَعُ أَوْزَارَهَا إِلَّا أَنْ يُسْتَوْفَى أَجَلُهَا مِنَ الدُّنْيَا، وَالْبَاطِلُ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الشَّيْطَانِ وَالْأَمَّارَةِ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الْمَلَكِ وَالْمُطْمَئِنَّةِ،

وَالْحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَالٌ، وَالنَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَمَنْ صَبَرَ وَصَابَرَ وَرَابَطَ وَاتَّقَى اللَّهَ فَلَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمًا لَا يُبَدَّلُ أَبَدًا: أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى، وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ"[٥].

كلما تعلمت أحدثت لنفسك **طاولة حوار في قلبك**، فأنت من غير علم تسير، ولما يأتي العلم ماذا يحدث؟ يصبح هناك حوارًا، حوار بين ماذا وماذا؟ بين العلم الذي أتاك وما تحمله في قلبك.

فما أحمله قد يكون بسبب تجربة، أو ما أحمله قد يكون بسبب مجتمعي، فالناس يفكرون هكذا وأنا أخذت منهم، وما أحمله قد يكون بسبب طبعي، هذا كله ما أحمله، العلم يأتي منه نَصْ، والنص يصبح له تحاور.

تحاور مع ماذا؟ أين مكان مأدبة الحوار؟

مأدبة الحوار مكانها في قلبك، على طرف يوجد النص الشرعي، وعلى طرف آخر يوجد ما أتيت أنت به، ثم يصبح بينهما حوار، فالذي أتيت به، من أين أتيت به؟

قد يكون طبعك، وقد يكون موروثات اجتماعية، وقد يكون تجارب مررت بها، قد يكون هواك، و قد يكون ما تحمله من قناعات و أحيانا من طبع، **وهو يمثّل الهوى**، لكن أحيانا لا أعلم أنه هوى، فأتصور أن كلامي منطقي، ففي العادة الناس لا يفهمون هواهم، وهذا كله الذي فيك يحركك، لكن عندما يأتي العلم ويكون يقينيًا، ويصبح هناك حوار، يغلب ويكون هو المحرك لك.

مثال: من جهة العلم والنص، يقول فيه النبي صلى الله عليه و سلم: ((الْحَمْوُ الْمَوْتُ))[٦]، هذا علم، قرَّر أن الحمو وهو أخو الزوج أو أقاربه من جهة الرجال، أي: الرجال الذين يدخلون البيت من جهة الزوج، حَكَم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم (الموت)! هذا هو حكم النبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو العلم، نأتي لما نحمله، وهنا اسأل ولا حرج فيما يحمله الناس، إما أن تقول لك إحداهن أنا دخلت البيت وهو صغير وتربى عندي –هذه هي التجربة–، أو تقول لك: النظافة في القلب، فلو كان قلبك نظيف لا تذهب عينك هنا أو هناك، أو تقول: هذا أخوك ولا تُعَقِّدوا الدنيا، ومجموعة من الموروثات، وإما لا هذا ولا ذاك، ولكن يقول لك أحدهم: أنا شخص أعرف نفسي، وأثق في نفسي، أو إحداهن تقول لك: أنا أعرفه تماما وأنا ربيته، كل هذا ما تحمله في داخلك، والنص يقول: (الحمو الموت)، هنا يصبح نقاش في القلب، هذا في القلب، **وهذا الحوار اسمه جهاد**.

١. إن خرج بنتيجة توافق الشرع أصبح اسمه **تقوى**.

٢. إن خرج بنتيجة لا توافق الشرع أصبح اسمه **هوى**، أي أنه ما اتقى بل تابع هواه.

على ذلك الحوارات التي تحصل لا تتجاهلها، ولا تغمض عينك عنها، فمشكلتنا أنه يحصل حوار فأقطع على القلب الحوار، وأعمل كما يحلو لي وانتهى الأمر! عندما أعمل ما يحلو لي وما يخطر على بالي – ولا تنسى أن هذا الحوار أيضا تأتيه عوامل وضغوط خارجية، أن هناك أحد يلح عليك قائلا: كفى، لا تعقد المسألة– مباشرة ينغلق النص في داخلك،

---

[٥] الْجَوَابُ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنْ الدَّوَاءِ الشَّافِي، لابن قيم الجوزية.

[٦] "رواه البخاري" (كتاب النكاح/ بَابٌ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ ذُو مَحْرَمٍ وَالدُّخُولُ عَلَى الْمُغِيبَةِ/ ٥٢٣٢)، و"رواه مسلم" (كتاب السلام/ باب تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا/ ٥٨٠٣).

وبدلا من الضغوط الخارجية هناك ضعف بداخلي، فأتخذ قرارا وأنا ضعيفة الإيمان، أو وأنا منهكة القوى، لا أنكسر بين يدي الله وأطلبه.

الحوارات التي في القلب غَذِّها بأمرين:

١) غذِّها بالعلم.

٢) غذِّها بالمحبة.

غذّي قلبك بكل أنواع العلم، ليس فقط بالعلم عن الله، القاعدة كانت العلم عن الله، لكن هنا العلم بكل مراضي الله، لأن في (الحمو الموت) هذا ليس له علاقة بالعلم عن الله، بل بالعلم عن محابه، وكذلك حكم بيع الذهب هذا علم عن محابه، فَتَعلَّم، تعلم كل ما يرضي الله ليصبح لديك نص، ويكون في المقابل موروثاتك وما أتيت به والمجتمع، وهواك، وطبعك.

انظر إلى ابني آدم، لتعرف الحوار؛ هناك كلمة هي التي تفهمك التقوى ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾[٧]، ما معنى فعل طوَّعت في اللغة؟

أرأيت عندما تأتي بحديد وتطوعه؟ أي: تلينيه، يقول المفسرون: أن ابن آدم الذي قتل أخاه، ما قتله في نفس الوقت، بل تحيَّن فرصة فقتله، بين الموقف الذي حصل وبين قتله ماذا كان يفعل بنفسه؟ يطوعها من أجل أن تقتل أخاه، فكأن هذه هي طاولة الحوار، وهو يراضي نفسه، ويراضي نفسه، ويقنع نفسه أنه لابد أن يقتل أخاه، فصادم ماذا؟ صادم فطرته، صادم وثيقة المحبة والأخوة، ومع ذلك بقي يقنعها ويقنعها إلى أن أطاعته بأن تقتل أخاه.

انظر إلى **التطويع**، يأتي على جهتين:

أ- تطوع نفسك إلى أن تتقي.

ب- تطوع نفسك إلى أن تنحرف.

فكلاهما نوع تطويع، فأنت تكون تربيت في بيئة معينة، وتسير في مسلك معين، ثم تحيط بك جماعة كلهم أهل سوء، ثم يطوعونك للمنكر، كيف؟ يلقون عليك شبههم، أو شهواتهم، ثم تنام على سريرك و طيلة الوقت في مناقشات ومناقشات إلى أن تقول: فقط أذوق هذا الأمر، فقط أفعله وأذوقه! وأنا أعرف نفسي لأجرب فقط تجربة، ولو طوعت نفسك مرة واحدة أن تفعل، انتهى الموضوع! انكسَرَت إلا أن يجبرها الله بالتوبة.

التقوى عملية وليست مجرد مشاعر تقع في قلب العبد، لكن بعد طول عمل، وكلها مكانها قلبك، وعناصرها العلم مع ما أنت عليه؛ ما أنت عليه مثلا: من غضب، ما أنت عليه من بيئة، ما أنت عليه من أفكار، من ثقة بالنفس، من مرض، أحيانا يكون الإنسان مصابا بمرض العلو، فلما يصاب بمرض العلو وتأتيه النصوص يرى نفسه فوقها، وأعلى منها، وليس أنا من يُطبق علي هذا النص.

---

[٧] المائدة: ٣٠

مثلا: يكون طيلة عمره يطلب من الناس الإعذار، وأنه هو مشغول وعنده مسؤولياته، وكلما طلب أحد منه شيئا يطلب منه الإعذار، ثم بعد ذلك يصبح هو في موقف يكون هو فيه الطالب ويطلب شيئا، ومن يطلب منه يكون مشغولا مثله، فيعتذر، فيقول: لا، أنا مثلي لا يُعتذر لي! هنا قُدِّمَت التقوى، وسار وراء هواه.

فكل هذه العملية تأخذ كم ثانية؟ ثانية، وهناك نوع مثل ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾، هذا يحتاج إلى عمر، يذهب ويأتي في تفكير إلى أن تأتي المواقف.

أضرب مثالًا واقعيًّا: امرأة في أحد الحرمين، وتعرفون الفنادق التي تحيط بالحرم غالبا تكون مزدحمة ازدحامًا شديدًا خصوصًا على المصاعد، وقفت هذه المرأة في انتظار المصعد في توقيت كانت المصاعد فيه خالية، فوقفت إلى أن أتاها المصعد ولله الحمد، فُتح الباب فإذا برجل فيه يريد أن يصعد، فوقفت تفكر: أدخل أو لا أدخل؟ أدخل أو لا أدخل؟ ثم اتخذت قرارًا بأن لا تدخل، فأغلق باب المصعد وذهب، أتاها المصعد بعد قليل فارغا فصعدت، فلما وصلت شقتها لم تجد أهلها فاضطرت للنزول مرة أخرى، وأثناء نزولها في المصعد توقف المصعد عند أحد الأدوار، فلما فُتح الباب فإذا برجل في الخارج، نفس عدد الثواني التي وقفت فيها تفكر في المرة الأولى وقف هو يفكر فيها، ثم بعد ذلك قرر أن لا يدخل، ثم أغلق باب المصعد ونزلت وحدها.

لابد أن تفهم أن التقوى تقيك، أنت الذي ستقطف ثمارها مباشرة، ولتعرف أن الله سريع الحساب.

ولما يصبح من ديدنك أن تتقي؛ فأنت في البداية تبدأ تمارس التقوى، لما تبدأ بممارستها يثبتك الله بمواقف مثل هذا الموقف، اتقيت، ففي نفس الوقت أتاك الثمن، لما يثبت في نفسك المفهوم، تُجمع لك الثمرات بأنواع وأشكال، فلابد أن تفهموا فعل الله عز وجل مع عباده.

مثال آخر: أتقي مسائل معينة، أكون خائفة أن أذهب هذا المجلس ويغتابون، وأسجد وأقول: يا رب احفظني من الغيبة، وأمسك لساني أن لا أتكلم، ثم أذهب ولله الحمد أجدهم لا يتكلمون، ويتجاوزون الموضوع ولا يتكلمون فيه والحمد لله، أي: أنك في أول الأمر وأنت في بداية التقوى يريك الله -عز وجل- مباشرة آثارها، ترى كيف أن التقوى تقيك مباشرة، ولما بفضل الله تصبح ممارسة في داخلك، وتصبح قوة، وتصبح إنسانًا متقيًا، تأتيك أنواع أخرى من الثمرات مختلفة عن السريعة المباشرة، لكن هذه النقطة فيها شيء من الغموض في الحياة.

أول الأمر تجد آثارا مباشرة لتقواك، كأن الآثار المباشرة يريد الله بها أن يثبتك، ليقول لك أنك تسير بشكل صحيح، وهذا من عاجل بشرى المؤمن أن يجد آثار فعله الصحيح فيزداد ثباتا، ثم بعد ذلك لما تصبح ممارسًا للتقوى تأتيك أنواع وثمرات للتقوى ليست هذه المباشرة، وسيأتينا إن شاء الله الكلام عن أنواعها وآثارها وثمراتها في الدنيا والآخرة، لكن في أول الأمر حتى تثبت على هذا السلوك، يعطيك مباشرة الجزاء الظاهر لتفهم أن الله هكذا يعاملك، أنت تعامل الله هكذا، يعاملك الله هكذا، إلى أن تثبت في قلبك هذه المسألة وتشعر باليقين تجاهها، وأن التَّقي لابد أن يأخذ الآثار عاجلًا أو آجلًا، ثم يساعدك سبحانه وتعالى بأن يشرح لك صدرك لهذه التقوى وإن لم ترَ آثارها المباشرة.

فَهِمْنا معنى التقوى من كلام طلق بن حبيب، والعلماء في الغالب يجعلون كلامه مقدّمًا لأنه جمع معنى التقوى بدقة، واتفقنا أن التقوى تعتمد على ما معك من علم، وبما أنه معك علم في المسألة لا وسوسة، لكن المجتمع اعتاد على أمور كثيرة تخالف الشريعة، وإذا أتيت لتصحح له يقول لك: أنت موسوس، فالآن هذا الشعار مرفوع علينا، فبعدما كانوا يقولون: معقّد، الآن يقولون: موسوس، ولن ننتهي، يلقي الشيطان عليهم هذه الأسماء، لكن أهم شيء أن يكون ما تقوم به أتى وراء علم، ولا تنسَ العوامل الثلاثة، يكون عندك علم، ويكون في قلبك محبة أورثتك الخوف والرجاء، ثم يكون الناتج أن تعملي أو تتركي، فلابد أن يكون عندك علم، فيبدأ يصبح عندي مؤشر حساس، كل شيء أسأل عنه هل هذا يسخط الله أو يرضيه؟ لكن المهم أن يكون مؤشرًا منطقيًا.

فمثلًا: لما أتى أهل الكوفة لابن عباس -رضي الله عنه- يسألونه عن دم البعوض إذا قُتل هل دمه يفسد حج الحاج؟ فقال لهم: تقتلون سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تسألون عن دم البعوض؟!

أي أن المسألة تحتاج إلى فقه، أي: لا أن يرتكب الإنسان من جهة كبائر، ثم يأتي إلى مسائل أصغر من الصغيرة يسأل عنها !.فيكون عنده كما يعبرون تسلسل منطقي، عنده هرم منطقي للتقوى، فيبدأ باتقاء الشيء الكبير قبل أن يتقي الشيء الصغير، إلى أن يتمرس فيتقي الكبير والصغير، لكن إذا تيسر له اتقاء الصغير يتقيه، لكن البداية تكون بالكبير، لذلك لا بد أن يكون عنده علم ليعلم الشيء الذي سيتقيه.

اتفقنا أنني لا أستطيع أن آتي بكل تعريفات التقوى، لأنه مع كثرة التعريفات لن ينتهي الأمر، فكل سيصف هذا المفهوم العظيم من زاوية، لكننا على الأقل اتفقنا كيف يحصل هذا في داخلنا، كيف يكون.

قال ابن مسعود في قوله تعالى: {اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}[٨]، "أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر".

كيف يكون حق التقوى؟

- ← أن يُطاع فلا يُعصى.
- ← ويُذكر فلا يُنسى.
- ← وأن يُشكر فلا يُكفر.

سنربط كلام ابن مسعود بكلام طلق ابن حبيب.

طلق بن حبيب عنده ثلاثة عوامل: عنده علم، وعنده محبة، والمحبة معها الخوف والرجاء، وعنده العمل أو الترك، ما معنى أن تتقي الله حق تقاته؟ تطيعه فلا تعصيه، وتذكره فلا تنساه، وتشكره فلا تكفره، هذا كله نتيجة ماذا؟

العاملان اللذان مضيا، وهما العلم مع المحبة التي بين قوسين (الخوف والرجاء)، فكأن ابن مسعود يتكلم عن الآثار العملية.

[٨] آل عمران:١٠٢

أن يُشكر فلا يُكفر

كيف سيكون الحوار؟ أي شيء ينغص عليك اجعل أمامه كل النعم التي أتتك.

إذا كنت تعلم أن ما بك من نعمة فهي من الله، لك أن تتصور تفاصيل تفاصيل النعمة:

جهاز التكييف الذي يعمل في البيت، مفتاحك الذي تستطيع أن تفتح وتغلق به البيت، بابك المغلق عليك وأنت لست في الشارع، وعدد الغرف التي تعيش فيها، ومأكلك ومشربك، بالتفصيل، الأمان الذي تعيشه سواء كان بصورة عامة أو بصورة خاصة، كونك تتمتع بالصحة و العافية، وعُدّ ولن تنتهي من العدّ، فإذا علمت أن كل نعمة من الله —وهنا أتى العلم— وعلمت أن الشكر محبوب عند الله، وأنت تحب أن يحبك الله، ماذا يصبح ديدنك؟ تشكر فلا تكفر.

أي: أنك تتقي أن تكون كافرًا، فأول تفكير يخطر على بالك —واعلم أنك تبتلى في التقوى— عندما تأتيك المنغصات، هناك منغصات وألم، وهناك نعمة وكرم، متقابلين، ماذا يفترض أن تكون نتيجة الحوار لو كنت تقيًّا؟

مباشرة يأتيك الشكر، فكثِّر عدد النعم المنعم عليك بها، كثِّر الجانب الأيمن، لدرجة أنك تستحي أن تقول أن هذا نقص، فهناك طاولة بسرعة تصبح موجودة، وبسرعة يصبح هناك حوار في القلب، فأنت تنبَّه لهذا الحوار، وغَذِّ ما يزيدك تُقى، ومباشرة ذكِّر نفسك أنه أعطاك ما حرمك، وأغناك ما أفقرك، ومن كل ما سألته أعطاك سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن تكون الدنيا على الكمال لأحد.

ولذلك نحن نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل في قلوبنا شوقًا إلى لقائه، لكن شوقًا إلى لقائه من غير ضرّاء مضرّة ولا فتنة مضلّة؛ أي: يا رب أنا أشتاق للقائك ليس لأن ضررًا أصابني، وليس لأن هناك فتنة يعيشها الناس وأريد أن أخرج منها، إنما شوقًا إليك، ومعرفة أن الدنيا دار زوال، فكلما عرفت حقيقة الدنيا اشتقت إلى الله، وبين المعرفة وبين الشوق هناك مسافة وهي التقوى.

العبد كلما عرف الله عز وجل واتقاه، رأى آثار التقوى في حياته، وفهم حقيقة الدنيا، فالتقوى تفهمك حقيقة الدنيا.

مثلًا: تجري وراء الدنيا، ثم تتنبه وتقول: لا، لن أجري خلف هذا الشيء، وسأتقي، وربي سيرزقني من حيث لا أحتسب، فيأتيك بكل يسر وسهولة، ويطرق بابك وأنت جالس في مكانك، فتقول الدنيا لا تستحق ! أو تأتيك مواقف تكون فيها مشتاقًا لشيء من الدنيا، ويذيقك الله إيّاها ثم يذهب طعمه، فتشعر أنه لا يستحق، لا يستحق أن أفقد ديني من أجل شيء سيذهب طعمه بعد دقائق.

فالشوق إليه سبحانه وتعالى يأتي من العلم بحقيقة الدنيا وتقواه.

لا تنسَ أبدًا أن نقاشًا دائمًا يدور في القلب، وعليك أن تغلب الجانب الذي يسبب لك التقوى، فكلما ازددت ذكرًا لنعمه تلاشت عنك الآلام، فمباشرة يخرج من لسانك شكر لا تكفر فيه نعمة الله.

ويُذكر فلا يُنسى

تُلهينا في الحياة ملهيات، أمور تجري بنا، ثم كلما زادت الملهيات زاد الإرهاق والتعب.

فعندما تخرج من هذا البيت إلى ذاك البيت، ومستعد من هذه الحفلة إلى تلك الحفلة، ومن التكليف هذا في العمل إلى ذاك التكليف، هناك إرهاق في البدن وإرهاق في القلب، كل هذا لا يخرجك منه إلا الهدوء والراحة والاستقرار، وبقاء العبد مشتتًا منزَّعًا لابد أنه ينسيه ماذا يريحه، فقلبك هذا المشتت المنزَّع هناك شيء يريحه، كلما ازددت شتاتا نسيت ما الذي يريحك، إلى أن تتقي الشتات.

إذا اتقى العبد الشتات وجمع قلبه بقي **ذاكرًا لا ينسى**.

إذن المتقي يتقي أن يتشتت، وأن يعلق قلبه بهذا أن يعطيه، وبهذا أن يكسيه، وبهذا أن يسقيه، يتقي هذا التشتت، إذا اتقاه سيبقى دائمًا لربه ذاكرًا، لكن لو كانت معاملته التي في البلدية وراءها فلان، ومعاملته التي في المحكمة وراءها فلان، ومعلق قلبه بفلان، وهنا عنده واسطة، وهنا عنده واسطة، لن يذكر ربنا أبدا، ولن يمر على خاطره، هذا في المجتمع الذي لا يفقه.

فالمجتمع يقول لك أن الواسطة تأتي بالأشياء، وإن لم تكن تملك واسطة ستضيع، وأنت تقول: أنا أردد في اليوم والليلة سورة الإخلاص، فكم مرة تقول: الصمد؟ كم مرة تقول: أنا عبد ضعيف ألجأ إلى سندي، ألجأ إلى الصمد الذي تصمد إليه كل الخلائق فيقضي حاجتها، ولا ينقص قضاء حاجات الخلق كلهم من ملكه شيئا!

فأنت في طاولة الحوار، إذا كان قلبك هنا متعلق بفلان، وهنا متعلق بفلان، لن تذكره، لكن إذا اتقيت التعلق ستذكره فلا تنساه، **لماذا ستذكره فلا تنساه؟**

لأن عدد حاجاتك بعدد شعر رأسك، طيلة الوقت أنت محتاج، محتاج أن يعطيك ربك القوة لكي توقظ ابنتك هذه وابنتك هذه لصلاة الفجر، ومحتاج أن يعطيك القوة أن تدرسهم، ومحتاج أن يعطيك القوة أن توصلهم في الوقت المناسب، و أن أطعمهم، وأشربهم، وينامون في الليل، كل هذه القصة الطويلة، ثم أنا، ثم الزوج، ثم البيت، ثم الخادم... إلى آخر ما تعرفون من عدد الحاجات المستمرة المتتابعة التي في اليوم والليلة، من يقضيها لك؟ ليس لديك إلا (يا الله)!

لذلك تتذكر دائما أنه صمد، دائما يقول لك: اقرأ سورة الإخلاص لتتذكر أنه وحده الصمد، فتصمد إليه، فتصور عندما تكون كل حاجاتك مكانها عند باب الله، هل ستنساه؟ بالطبع لا.

لذلك الذي يتقي أن يتعلق بغيره سيبقى ذاكرًا لا ينسى، فطيلة الوقت ليس عندك إلا (يا الله).

ولو التفت قلبك لفتة بسيطة، فقلت فلان لو وصلنا له ستُحل المشكلة، يرد فلان عليك بأبرد ما يكون من أول المكالمة، فيتبين لك أنه لا يوجد أمل، ثم وأنت في المكالمة مباشرة قلبك يفزع إلى الله، فتقول: لا يوجد غيرك يا ربنا تعينني وتسخر لي، ثم تغلق المكالمة مع هذا وتتصل بآخر فيسخره الله لك، فلا تلتفت عن الله، هو الذي يأتي بالخلق ويسخرهم لك.

الناس بالناس لا يستطيعون الاستغناء عن بعضهم البعض، لكن الله -عز و جل- هو الذي جعل بعضهم لبعض مسخرًا، فلا تعتمد عليه من دون الله، فإذا كنت تقيا ستذكره فلا تنساه.

ما الذي تتقيه بالضبط هنا؟ تتقي أن تتعلق بغيره، أو أن ترى غيره قاضيًا لحاجتك، أو سادا لثغرتك، أو شارحا لصدرك، لكن اعلم لا حاجاتك، لا ثغراتك، لا صدرك، لا قلب الرجل، لا فكر البنت، ولا أي شيء، نحن كل الذي نبذله أن نبقى نطلب من الله أن يشرح الصدور، وييسر الأمور طيلة الوقت؛ لذلك عندما تدخل إلى بيتك تدعو، وعندما تخرج من بيتك تدعو، وعندما تقضي حاجتك تدعو، لماذا؟ لأن كل شيء لا يكون إلا به سبحانه وتعالى، فهذا هو التوحيد، أنك واحد لواحد.

فالعبد طيلة الوقت في قلبه حوارات، والتقوى حول هذه الحوارات.

مثال: لو أول الأمر قلبي التفت لغير الله، وأتوا لي برقم فلان، فقلت: انتهى الأمر بما أننا وجدنا رقم فلان حُلت المشكلة، فأتصل به وإذا به يكلمني ببرود فأُخذل، وهو يكلمني ببرود منذ البداية قلت يا ربي: لا أحد غيرك، اغفر لي التفات قلبي لغيرك، ثم أنه يوجد هناك شخص آخر أتصل به، لكن وأنت تتصل بالشخص الآخر تتصل وأنت يائس، وآمالك كلها في الله، وهناك فعل مهم لا بد أن تفهمه وهو أن الله –عز وجل– هو الذي يسخر للعبد المعينين له، فأنت بهذا التفكير تفكر بالشخص الثاني: يا رب سخره اجعله قاضيا لهذه الحاجة، فمن الطبيعي أن الحاجات ستقضى على يد الخلق، لكن هناك فرق بين أن يكون قلبك للخلق، وأن يكون قلبك لله، وهذا لا يفهمه إلا من دخل في تجارب، فمن دخل في تجارب يفهم الالتفاتة الصغيرة التي تحصل في القلب والتي تهلكه.

في قصة يوسف عليه السلام قيل له: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[9] فالإنسان عندما يحسن لا يضيع أجره ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾[10] ماذا يحصل؟ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. هذه المرأة تقول أنها ذهبت للحرم –والبلاءات لا بد منها في الحرم– فأول يوم أتى من أمامها وأساؤوا إليها، وفي اليوم الثاني أساء إليها الذين على يمينها، وهي ملتزمة الصمت، وفي الثالث كانوا الذين من شمالها، وفي اليوم الرابع كانوا الذين من ورائها، المهم أنها كانت أربعة أيام بأربعة أنواع من البلاءات من كل جهة، وهي تقول: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، انتهت ولله الحمد الأربع جهات وأتى اليوم الخامس، جلست بجانب أناس طيبين وبقية الأيام كانت مثل هذا، لكن الموقف والشاهد على هذا هو أنكم ترون أحيانا في الحرم المكي عندما يغسلون الحرم، ويرشوا الماء، ويسقط من يسقط إلى آخره، فهذه المرأة خارجة من الحرم –وهي ليست بخفيفة – فأصبحت في وسط هذا الحدث، فأتتها امرأة من بعيد لا تعرفها، فأخذت بيدها وأعانتها حتى خرجت من الماء، ثم ذهبت ! فهكذا يُسخر لك، بهذه الصورة التي تراها بسيطة لكنها تعظم في كل المواقف.

فمعنى ذلك أن يبقى قلبك ذاكرًا لله ليس ناسيا، ثم هو سبحانه وتعالى يسخر لك؛ لذلك يقال لك: لا تنشغل عن الله بأي شيء، كل شيء انشغلت به عن الله أفسد عليك، لا يصلحك، لكن لو انشغلت بالله عن كل شيء أصلح لك كل شيء، هناك فرق شاسع بين الأمرين. في نهاية الجمل: **أن يطاع فلا يُعصى.**

---

[9] يوسف:٣٦

[10] يوسف:٩٠

وأن يطاع فلا يعصى.

من المؤكد أن التَّقي معه من العلم، ومعه من حبّ الله -عزّ وجلّ- ما يجعله دائمًا يبحث عما يرضيه، وحتى لو حصلت منه المخالفة فوصفه أنه أوّاب، التقي يتقي أن يسخط الله عليه، أي: لا تأتيه تلك اللحظة التي لا يبالي فيها بسخط الله، فالإنسان الذي يُغضب الله كأنه في حال لا يبالي بسخط الله، ليس بالشيء المهم عنده.

يؤسفني أن أقول أن كثيرًا من الشباب يسأل: هذا حرام أو مشتبه فيه؟ أو يقول لك: هذه كبيرة أو صغيرة؟ قُلْ له: لا يوجد شيء اسمه صغيرة، بما أنَّ هذا في قلبك، فلا صغيرة مع الإصرار، وهذه هي الحقيقة، **لا صغيرة مع الإصرار**، فأنت هاجم على الأمر وكأنك تقول أنا لا يهمني أن يسخط الله، فأصبح لا صغيرة مع الإصرار.

لكن المتقي لا يتعمد معصية الله، بل يبتعد عنها، ويتقيها، فإذا غفل أو دُفع، فأحيانا يحصل هناك دفع في مواقف، فتثار، أو تغضب، أو يستفزونك، أو لا تملك نفسك، أو لا تملك طبعك، فيأتي الوصف الثاني العظيم للمتقين أنهم **أوّابين**.

فالتقي يطيع الله فلا يعصيه، ولابد أن تحدث من بني آدم المعاصي لكن من طبع التقي أنه أوّاب لما يجد في قلبه من محبة الله والعلم عنه، **فالمحبة والعلم يسببان طلب الرضا دائمًا**.

التقي رأس ماله زمنه، أي: أنه دائمًا يُحدث تقوى في زمانه، كأنه يفهم تمامًا أن هذا الوقت هو وقت السير، فطيلة الوقت يتقي أن يُذهب رأس ماله، يتقي أن يُذهب وقته؛ فلا يأتي لهذا التقي زمن لا يبالي فيه بطلب رضا الله، حتى عندما يأتي لينام يقول: أنام مبكرا لأقوم الليل، أسأل ربي ألا يحرمني القيام، خصوصًا لما يخرج من رمضان – نسأل الله أن يقبل منا صيامنا وقيامنا – يكون المرء خائفًا أن يترك القيام، أن يترك تلاوة القرآن، يتملكه خوف في قلبه، فمن الخوف يبدأ يلاحظ الزمن، فيقول: إما أن أنام مبكرا لأقوم، أو أصلي بعد العشاء، فمن جربوا أنفسهم خلال الأيام التي مضت، وكان الشيطان يخدعك، يقول لك: نم ثم قم صلي، وبالكاد نقوم للفجر، وأحيانًا الوتر، فأنا أنصحكم في هذه المرحلة وهي مرحلة انتقال أن تعتنوا غاية العناية بمسألة القيام، وبالذات في هذه المرحلة التي تعتبر برزخية، صَلِّ بعد العشاء ولو تسليمة أو تسلمتين، صَلِّ لِتَدْحر شيطانك ثم يقويك الله عليه، فالآن العشاء يؤذن مبكرًا، ونحن لا زلنا بنشاطنا خصوصا من يأخذ قيلولة، لا تقل أنا أريد الأفضل، صلي الآن بعد العشاء ثم فيما بعد إن شاء الله يأتيك الخير.

لكن الآن نحن نعرف أنفسنا، لو تركنا الصلاة في هذه الفترة من شوال إلى ذي القعدة لن نتقابل مع القيام إلا في رمضان القادم! فتمسك به ولو بعد العشاء، بقدر ما تستطيع، خصوصًا الأيام التي تأتي بعد انقطاع بسبب الدورة الشهرية، وهذه مشكلة أخرى نحن نعاني منها، فبعد الانقطاع من الصعب أن تعيدي بناء بدنك على أن تقومي في الليل.

إذن لا بأس صلي بعد العشاء جزاك الله خيرا، تمسكي بما أنعم الله به عليك من قيام، ومن ثم سترين آثار هذا القيام على تقواك، فأنت تتقين أن تضيعي وقتك، فهذا نوع من التقوى (يطاع فلا يُعصى و يذكر فلا يُنسى و يشكر فلا يُكفر).

- ورد في بعض النصوص وصف هذه التقوى مثل هذا الحديث الذي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب:

عن عطيّة السّعديّ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ ، حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ))[11].

من هذا الحديث نأخذ قاعدة في التفكير، اتفقنا أن التقوى عملية تفكير، أنت لديك النص أو العلم الذي تعرفه عن الله، أو أمر به الله في جهة، تصوري أنها جهة اليمين، وعلى اليسار طبعك، ثقافتك، قناعاتك الخاصة من المجتمع، فماذا يحصل بين الاثنين؟ حوار؛ عملية التفكير هذه والبحث التي يحصل في القلب لابد لها من قواعد.

♦ ومن القواعد المهمة في التفكير وأخذ القرار: **أن تدع الشيء الذي ظاهره لا بأس به، حذرًا مما به البأس،** فتترك الشيء الذي في ظاهره أنه لا بأس به، لكنك تعرف أن هذا الشيء يمكن أن يَجُرّ شيئًا به بأس، ففي كثير من الأحيان نتعرض في مواقف إلى عرض شيء من المتشابهات علينا.

مثلًا: في بداية ظهور الأسهم كانوا يقولون أن هذه مجرد بيع وشراء، وهناك قوم من أول الأمر قالوا: هذه مسألة فيها أشياء وهمية وغير معروفة وغير واضحة؛ نخشى أن تجرنا إلى ما فيه بأس، فلما طبقوا قاعدة التقوى وقاهم الله ووقى أموالهم.

وآخرون رأوا أن المسألة في صورتها الأولى ليس بها بأس، ثم جرهم لما فيه بأس، ثم كان الثمن خسارة أموالهم عوَّض الله عليهم بالإيمان والتقوى.

فالمقصود أن هذا الحوار الذي يحصل في القلب لابد له من قواعد في التفكير، ومن القواعد: أن تترك شيئًا ظاهره لا بأس به، تخشى أن يجرك إلى شيء فيه بأس، وهكذا.

لو أتيت مثلًا عند حالات التعلق بأشخاص، كثير من حالات التعلق بأشخاص كيف تكون؟ هذه زميلتي وهي معي منذ سنوات وليس لي معها مشكلة، وفجأة في لحظة يكون عندي فيها ضعف، أو عندي مشكلة، وهي تقف بجانبي، أو أرى منها تصرفًا يناسبني، وأذهب إلى بيتي وحالها يلح على عقلي، صورتها وموقفها يلح علي، فلو أكملت سلسلة التعلق ماذا يحصل؟ يصبح هناك استجابة لهذا الإلحاح في التفكير، والتفكير ليس به شيء سيء.

لكن شخص فجأة تهتمين به، ثم أمد مادة الاهتمام بالاتصال وبالمناقشة وبالكلام، ثم أمد مادة الاهتمام باللقاءات، إلى أن يصبح القلب ممتلئًا بهذا الشخص، ففي بداية الأمر كان ظاهر المسألة لا بأس بها، وفي نهايته وصلنا إلى حال التعلق!

لذلك أي أحد تشعر بميل عاطفي تجاهه، ثم تراه تلح على عقلك ذكراه، لا تستجب لنفسك، فلو قطعت من هذه المرحلة سترتاح ولن تأتي مسألة التعلق، وكَوْني لست متعلقة هذا لا يعني أن أكون جافة، ومُعادِية، بل سأكون طبيعية.

في أول الأمر الإنسان يقول لنفسه: الأمر عادي أن أفكر بهذه الكثرة، نقول: لا، أنت تتصور أن هذا لا بأس به، لكن بعد ذلك يتطور فيصبح به بأس، وأمثلة هذا كثيرة، أن ترى أن أمورًا لا بأس بها تتحول إلى أن تصبح أمورا بها بأس.

---

[11] الترمذي (٢٤٥١) وقال: حديث حسن غريب. وسنن ابن ماجة (٤٢١٥) وصححه السيوطي

- (سأل رجل أبا هريرة- رضي الله عنه: ما التّقوى؟ قال: «هل أخذت طريقا ذا شوك؟» قال: نعم، قال: «فكيف صنعت؟» . قال: إذا رأيتُ الشّوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: «ذاك التّقوى»)[١٢].

عدلت عنه: ابتعدت عنه، جاوزته: قفزت من فوقه، إما أن أعدل جهة اليمين، أو أقفز من فوقه، أو أبتعد تماما عن الطريق الذي فيه الشوك.

افهم الصورة: شخص سائر إلى ربه، وهو سائر في حياته لابد أن تُعرض عليه من المواقف والأحداث التي فيها أخذ له إلى شيء لا يحبه الله، لا تتصور أن الدنيا تسلم من هذا، أبدًا، فأنت دائما عندما تقف أمام شخص تقول: يا ترى أنت شخص ستأخذني إلى الله؟ أم ستأخذني بعيدًا عن الله؟ عندما تقف أمام بيت تملكته أو سكنته و أنت تنظر إليه، فتقول: يا ترى هل ستكون سببا لأخذي إلى الله؟ أم بعيدًا عن الله؟ فكل شيء حولك ممكن أن يكون آخذًا إلى الله، أو بعيدًا عن الله، كيف يكون ذلك؟ تبدأ تظهر مظاهر أن هذا الشيء يأخذك بعيدًا عن الله، فيكون له مظاهره.

مثلًا: أنا سكنت في بيت، ولدي جارة طيبة مباركة، وتقول لي: أنا جربت جيرانًا كُثر، وكلما اجتمعنا أتت الغيبة، وأنا لا أحب إلا ذكر الله، وأريد أن أحفظ معك القرآن، في ظاهر المسألة، الحمد لله، إن شاء الله تأخذك إلى الله، لكن سرت إلى منتصف الطريق ثم بعد ذلك بدأت تدخل أشياء لا لَزْمَ لها، وبدأت تتفلت العزائم، وبدأ يصبح الاجتماع لمجرد الاجتماع، وبدلا من أن نجلس ساعة نتكلم في شرح القرآن وحفظه ثم نفطر، صرنا نفطر ثم نجلس ساعة نتكلم عن الفطور كيف أعددناه، ثم في آخر عشر أو خمس عشرة دقيقة نراجع حفظنا! ثم نقول تأخرنا اليوم، وبعد ذلك كل منا يذهب إلى طريقه!

في هذه اللحظة تحتاج أن تقصُر عنه، ليس كل الذي تتقيه ستواجهه مرة واحدة، أحيانًا يكون الشيء واضح جدًا، تُعرض عليك وظيفة، ومن بداية الأمر فيها اختلاط، هنا لابد أن تعدل عنه، وتتركه تمامًا.

وحالة أخرى: تأتي في حال داخل وضعك، في بيتك، مع أبنائك، مع الزوج، شيء لابد أن تتجاوزه، كأنك تقفز من فوقه، يأتيك ضرر، تأتيك أمور لو أردت أن تشرحها تغتاب، فتسب، أو ستفتري أحيانًا، فكثير من النساء الذين يحكون عن أزواجهم يدخلون في الافتراء وهم لا يشعرون، فهي عندما تحكي لي الحكاية لا تحكي لي الحكاية فقط بأحداثها، بل تحكي الحكاية بمشاعرها، والمشاعر هذه في كثير من الأحيان يكون فيها شيء من الافتراء، فتقول: أحسّ أنه يريد أن يفعل كذا، أحسّ أنه اتخذ قرارًا أن يفعل كذا، وكلمة (أحس) كلها افتراءات!

فعندما تأتيك الفتنة في داخلك، وأحيانًا يبتلى الإنسان برجل -والعياذ بالله- يُكَفِّر المسلمين، وهذا في داخل البيت، شديد الالتصاق، تحتاج أن تتجاوزه، لا تدخل معه، ولا تسايره، خصوصًا الناس فيهم ضعف ولا يستطيعون أن يتخذوا قرارهم، فهي زوجة، ابنة، تابعة، فماذا تفعل؟ تتقي في داخلها وتتحاشى هذا الشيء مع قربه الشديد منها، هذا كأنك تقفز عليه.

---

[١٢] الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦١)

الثالث: قصرت عنه: مثل الجارة تلك، سرنا في البداية بشكل جيد، ثم وجدنا أنفسنا ضعنا، فماذا تفعلين؟ تقصرين عن الشيء، تعودين، ولا تتمادين.

إذن التقوى إما خطر ظاهر تعدلين عنه، وإما باطل ملازم، وهذا تبذلين جهدك بأن تتجاوزيه، وتتجاهليه ولا تتكلم في الموضوع، بل تحاشيه، فعندما يفتح الموضوع في البيت و يقول لك: العلماء والأمراء. ويبدأ يكفر، قولي له: اسمع، هذا بيت، وليس مركز أبحاث، فتجاوزيه وتجاهليه، قولي له: أنا هذا الأمر ليس لي علاقة به، لا أعرفه، ولا أفهمه، ماذا تريد؟ تريد أن يكون اعتقادي مثل اعتقادك؟! وأنت من الداخل متقية اعتقاده، لابد أن تتجاوزيه، إذا أردت مناقشته لن تنتهي، التقوى هنا ليس أن أناقشه وأقنعه، لكن التقوى هنا أن أتجاوزه.

النوع الثالث من الفتن: تبدأ خيرًا ثم تنقلب شرا، وهذا أنت بحاجة أن تقصري عنه، وتردي نفسك عنه.

فهذه ثلاثة أنواع من الفتن يبتلى الإنسان بها:

١. إما معروضة ظاهرة بأنها فتنة.
٢. أو باطل قريب وملاصق.
٣. أو شيء بدأ خيرًا و انتهى إلى شر، و هذا تقصر عنه .

قال: ذاك التقوى.

- قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-: (التّقيّ ملجم لا يفعل كلّ ما يريد)[١٣].

تعرفون الملجم؟ هل تعرفون لجام الفرس، الذي يضعونه في فمه ويشدونه منه، يمنعونه، فالتقي شخص بهذه الصورة بالضبط، مُلَجَّم، كل أعضاؤه ملجمة، ليس كل ما خطر على باله فعل، دائمًا عنده مجلس استشارات، أرأيتم كيف يُغَشُّ بعض الناس سريعا؟ يَعرض عليه أحدهم أرض فيضع كل أمواله فيها، وشخص يغريه بقطعة ذهب فيدفع كل أمواله فيها، وآخر بمجرد أن يُعرض عليه ذلك يقول: لا، أنا لديّ مكتب استشارات، أستشير ثم أقرر أشتري أو لا أشتري، فمن الناس من سياستهم هكذا، ومنهم من سياستهم هكذا، حتى في التعامل في طريقك إلى الله هناك أناس هكذا، وهناك أناس بمجرد أن تخطر على بالهم خاطرة لا يفكروا أبدا في أي شيء يلجمهم عنها، تنفذ بمعنى تنفذ.

مثلا: أرسلوا في البريد الإلكتروني قصة أنا لا أعلم حقيقتها، سأضربها مثلا ولو كانت خيالا، سأضربها كمجرد مثل، وليس هذا تثبيتا لحقيقتها، أرسلوا أن طفلة صغيرة يظهر أنها في أول أو ثاني ابتدائي، ذهبت يوما إلى المدرسة ومعها كيس، وهذا الكيس شكله غريب، في النهاية اكتشفوا أن الذي في الكيس هو أخوها الرضيع! وبعد ذلك أعادوا الطفل لأمه، لكنها قررت أن تأخذه وتريه صاحباتها، هم ما أتوا لزيارتها، فهي تأخذ الولد يزورهم! فهذا قرارها، وتعرفون أن هذا البريد يحمل كذبًا لا نهاية له، لكنني أضربه كمجرد مثال.

---

[١٣] شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٤١)

فانظر إلى هذا ، طبع أشخاص، عندما يقرر أن يفعل شيئًا، لا يفكر في أي شيء، الشيء الذي في رأسه يفعله، بمجرد أن تخطر على باله خاطرة يفعلها بدون قوانين، ومثل هذا ليس في صفحات الإنترنت، هذه مواقف حقيقية تحصل.

هذه النفسية يصعب عليها التقوى، فكل الذي يخطر على بالها لابد أن تفعله، مثل الطفل الصغير، والطفل الصغير يُقبل منه، لكن المشكلة عندما ينضج، ما هو الفرق بين الناضج والصغير؟ أن الصغير كلما خطر على باله أراد تحقيقه، وأنت تربينه على: لا يا بُنَيّ، ليس كل الذي يخطر على بالك تحققه، فلما نكبر وتكون نفوسنا طفولية، مثل هذا لا نُمدح على ذلك بل تُذم.

فمثلًا الطفل الصغير يكون طيلة الليل يكح، ولم ينم، وفي الصباح أعطيْتِه مخفض للحرارة، ثم يرى إخوته يأكلون مثلجات فيريد مثلهم، نقول: لأنك ليس لديك عقل تفعل هذا الفعل، وإلا فأنت كل أعراض المرض موجودة عندك، ستزيد مرضك بذلك!

فهكذا نفوسنا، تكون مريضة، مريضة بحب الدنيا، والتعلق بها، وتحب الذهب، وتحب الساعات، والمفروض أنه –الحمد لله– الموجود يكفي، سأقف وأتحاسب عنه، لكن إن رأيت خاتما جديدًا عند أحد، أو ماركة ساعات جديدة، ولا كأنني لبست في حياتي ساعة، آخذ قرار أني الآن يجب أن أشتري، وأنا أتكلم عن موقف حقيقي، فإذا كان عندها أجهزة الدردشة المباشرة، أو عندها (مسنجر)، تكتب في شعارها لأهلها: (إذا كنتم تحبون أن تعطوني هدية نزلت ساعة كذا وكذا أعطوني إيّاها هدية) إلى هذه الدرجة استجابة لما يجري!

ليس شرطا شهوات من هذا النوع، هناك شهوات أخرى، مثلا: قال لي كلمة أغضبتني، لا أفكر أن أصبر، أو أراجع، أو أرى ما السبب، قال كلمة ترى الرد مباشرة جاهز، ثم يمدحها المجتمع فيقول لها: ما شاء الله ردها جاهز، ولا يعرف أن الشيطان هو الذي قوّاها.

⟸ كيف يكون عدم إلجام النفس؟

تفعل ما تريد، كل ما يخطر على بالها تفعله، لا تعطي نفسها حتى فرصة التفكر، لا توجد فرصة للمحاورة أو المشاورة مع النفس، بين قيمك العليا التي تحملينها وبين الهوى لا يوجد علم أستضيء به، ولا أعطي نفسي فرصة أن أستضيء، كل الذي يخطر على بالي أقوله أقوله، فأصبحت ثرثارة، وكلما غضبت عبرت عن الغضب، فأصبِح بذلك غضوبة، وكلما سمعت خبرا نقلته، فأصبِح بذلك مفشية للأسرار..

المقصد أن ترى نفسك، إلى أي درجة لا يوجد لديك لجام يمنعك، إذا ما كان هناك لجام يمنعك، إذن أنت بعيد أن تكون من أهل التقوى، لابد أن تعيد تأهيل نفسك، لكن ماذا لو كانت هناك زاوية أملك فيها لجام، وزاوية أخرى لا أملك فيها لجام يمنعني؟ ندرب أنفسنا في الثاني.

لذلك وأنت تربين أبنائك، تلمّسي هذا الذي ليس عنده لجام في أي شيء، خصوصًا في مرحلة المراهقة، ففي مرحلة المراهقة يبدأ يظهر لي، وهو طفل صغير، لا بأس هم كلهم لا لجام لهم، وهذا في الغالب، وإن كان البعض تظهر عليهم مظاهر العقل من الصغر، لكن عندما يبدأ سن البلوغ، من المفروض أن يبدأ هنا يظهر اللجام، واحد يفكر قبل أن

يتكلم، ويفكر قبل أن يتصرف، حتى في مسلكه العادي، وهناك أناس ابتلوا بأن لا لجام لهم، قبل أن يتصرفوا لا يفكرون، لا يضعون الموضوع على طاولة البحث والتفكير، مباشرة قرارات، مباشرة تصرفات، مباشرة شهوات معلنة.

لذلك تجد هذا مذبذب، كل يوم له وجه، وكل يوم له صورة في الحياة وطريقة، فلابد من لجم النفس، ولا بد من التصبر، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

التقي شخص ملجم لا يفعل ما يريد، ولا يقول كل ما يخطر على باله؛ إنما يدور الأمر في قلبه، يبحث عن النصوص التي تحكمه الآن، ويخرّج قناعاته وأسبابه الداخلية، ويواجه نفسه: تريد أن تفعل هذا الفعل لماذا؟ ما الذي يحركك؟ ثم يدخل عليه الإخلاص، ثم يدخل عليه ما يعالجه من العلم.

إذن ليس كل ما خطر على باله فعل، على ذلك هو بطيء في ردود أفعاله، لكن كيف أفسر ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[١٤]؟ وكيف أفسر الأمر بالمسارعة للخيرات؟

تقول: أنا كنت أرضي الله، لكن ليس عندها نية صحيحة.

نقول: العبد يحتاج إلى زمن دربة على التقوى، ثم هذا تصلح منه المسارعة، وتصلح منه العجلة، يصلح منه هذا كله، فالعجلة والمسارعة ليست صالحة لكل أحد؛ لأنه أحيانا يقال له: هيا يا جماعة هناك دروس، فيذهب معنا، هيا هناك حفظ قرآن، فيذهب معنا، لكن لا شيء في قلبه، لا إخلاص ولا تقوى ولا إرادة خير، أولًا لابد أن تعالج قلبك.

قد تقولين: عندما يدخل العلم سيُعالج القلب.

نقول: نعم، صحيح، تعال، لكن عندما تأتي وأنت مسرع، وأنت مع القوم، لا بد أن تركز، لا أن تذهب فقط وتعود، لابد أن تأخذ التقوى وتدخله إلى قلبك، وتجعله سببًا للجم نفسك.

فوائد التقوى:

نرى آية الطلاق المشهورة التي تُستعمل دائما، يقول الله عز و جل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[١٥]، ماذا يفعل الذي يتقي الله؟ يكون عنده علم بأن هذا يرضي الله، أو هذا يسخط الله، وفي قلبه محبة لرضا الله، وخوف أن يسخط الله عليه، ورجاء أن يتصرف كما يحب الله.

مثلًا: شخص عنده علم وعنده كل هذه المشاعر، وتَعَرَّض لأمر لا يحبه الله، ونفسه فيها قبول لهذا الذي لا يحبه الله، قبول ولو نِسْبي لهذا الأمر الذي لا يحبه الله، أي: ممكن أن تميل، أو ممكن أن تفعل، هي بنفسها ليس لديها مانع، ولديها من علم عن أن هذا يسخط الله مع حبه، ورجائه، وخوفه من سخط الله، هذه الجهة الآن تغلب الجهة التي تقول: افعل ولا حرج، فهو الآن عنده جهة تقول: افعل ولا حرج، وجهة أخرى تقول: لا، بل هناك حرج، الدليل يقول أن

[١٤] طه: ٨٤

[١٥] الطلاق: ٤

هناك حرج، والهوى والنفس واللامبالاة تقول: افعل ولا حرج، فيحصل هناك حرج يمنع (افعل ولا حرج)، فيتقي الإنسان السخط، وهي معركة الثواني، لذلك هذا اسمه: **جهـاد**.

إذن التقوى فيها عاملان لتنجح:

⟵ العلم.

⟵ الجهاد.

فيكون عندك علم، لكن ليس كل من معه علم انتفع بعلمه، كثير من الناس يحفظون ويتلون، وإذا قلت له عبّر لي عن هذه المسألة يلقي لك خطبة، مع أدلة وأحاديث، ومواقف وقصص من السلف، لكن تعال إلى الموقف تجده لا شيء.

ما السبب؟ أن معركة التقوى وهي (المجاهدة) غير موجودة، فتفهم بذلك معنى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾[١٦]، ماذا يعني تجاهد في الله؟

أمامه مرغوب محبوب عليه لافتة تقول: (افعل ولا حرج)، وعلم معه حُب يقول: لا تفعل، فهناك حرج، التقوى هي أن هذا العلم والمحبة يمنع (افعل ولا حرج)، أنت ستقوم بهذه المعركة، ثم ما النتيجة؟

﴿ الفائدة الأولى: ﴿يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[١٧].

مثال: شخص كان مسافرا، واستيقظ من النوم قريبًا من أذان العصر، وكان يجب أن يتحرك بعد العشر مباشرة، وهو في الفندق وبجانبه الحرم، لكن إلى أن يأتي بسيارته، وإلى أن تسمح له الشرطة بالدخول، وإلى أن يُنزل حقائبه، سيذهب الوقت، فهل يصلي في الفندق ركعتين وهو مسافر؟ أم يصلي في الحرم ثم بعد ذلك يُجعل له من أمره يسرا؟ الآن هناك معركة، فأنت مسافر، وركعتان في حقك صحيحة، وهذا الكلام صحيح، ومنها تستفيد من الوقت تفعل وتفعل قبل أن يخرج الناس من الصلاة، وتخرج من هذا المكان الضيق إلى آخره، وهناك نَصٌّ آخر وحب، ولاحظي علم وحب، وأن الصلاة هنا بمائة ألف صلاة، أو الصلاة هنا بألف صلاة، فأيهما يغلب؟ الحمد لله غلب عليه العلم والحب فنزل فصلى في الحرم، ولما نزل وصلى وخرج من الصلاة، وقد كان في الحرم المدني، وفي الحرم المدني الذي ينزل إلى مواقف السيارات قد يضيع ولا يعرف في أي جهة وضع سيارته، فيقول: خرجت من الحرم، ونزلت السلم الكهربائي فوجدت سيارتي مباشرة، فخرج وذهب إلى جهة الفنادق، فالشرطي الذي كان واقفا تركه يمر، والممرات والمسارات كانت يسيرة، وأهله الذين ينتظرونه بالحقائب كانوا في الشارع، ففي أقل من ربع ساعة فعل كل هذا وخرج بعد أن كان متأزمًا، ويقول: نحتاج على الأقل نصف ساعة لنخرج من المكان لكن ﴿يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

كم من المرات تركنا طاعات وعبادات على أننا نريد أن نوفر هذا الوقت لعمل مهم، فنُشغل بما هو تافه لا قيمة له، ويطول زمن العمل من دون إنتاج!

---

[١٦] العنكبوت:٦٩

[١٧] الطلاق:٤

تقول إحدى الأخوات: كل مرة أقرر فيها أن أترك سنة العشاء من أجل أن أقضي أحد أعمال المنزل، ففي كل مرة أترك فيها سنة العشاء، يُطرق الباب وإذا بالضيوف، فلا صلت سنة العشاء، ولا قضت الحاجة، أتاها أمر طارئ من الخارج، فمثل هذا افهم عكسه لو أنك اتقيت يجعل لك من أمرك يسرى.

وهذا هو أكثر ما نحن بحاجة له، أن يجعل الله تعالى التيسير في أمور الدنيا والآخرة، أي: تيسير حياتك من المهمات التي أنت بحاجة لها، وتشعر أنه لا يفعلها إلا الله، ولا يأتي به إلا الله، فترى اثنان يفعلان نفس الفعل، أحدهم يقضي زمنًا طويلا، والآخر يقضي زمنًا قصيرا، من أين؟ **التيسير من الله**.

إذن أحد أهم آثار التقوى: أن يجعل الله لك من أمرك يسرى، لا تتصور أن ترتيبك الذهني هو الذي ييسر الأمور، اتق الله، تُيسر لك الأمور.

الفائدة الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[١٨].

أنها سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: لا يحصل هذا الأمر إلا لمن كان وصفه أنه متقٍ، فإذا كان الشخص متقيًا، إذا جاءه من الشيطان مَسّ لا يستجيب له، لا يتعامل معه، لا يطول زمن أثر مسّ الشيطان عليه، وأثر وسوسته عليه.

لذلك دائمًا إذا كنتم تستمعون إلى برنامج نور على الدرب، عندما يرسل أحدهم إليه رسالة يقول له فيها: أنا مبتلى بالوسواس القهري، وهذا مرض منتشر الآن جدًا وله أسباب كثيرة، لكن من أحد أسبابه المهمة جدًا عدم التقوى، فكان الشيخ يسأل الشاب: هل تمارس العادة السرية؟! فهذا سؤال مهم.

ما علاقة العادة السرية والوسواس؟ الممارسة تدل على عدم التقوى، فالممارسة خَفيَّة لا يشعر بها أحد إلا من صاحبها، خفية على الناس، فهي فيها معالم عدم التقوى، سيقابله ذلك أن الشيطان يمسه بالوسواس، يوسوس له حتى يتحكم فيه! ويصبح أرض خصبة له، وهكذا، كلما فعل الإنسان أفعالًا تخالف التقوى خصوصًا في خاصة نفسه، أصيب بمرض الوسواس.

هل معنى هذا أنه لا يوجد وسواس إلا من هذا؟ لا، الوسواس له أسباب أخرى، لكن هذا من أعظم الأسباب، وعلى ذلك فالموسوس لابد أن يأتي بالتقوى، ولا تنس أن التقوى ثلاثة عوامل: العلم، مع المحبة، مع العمل (الطاعة أو ترك المعصية).

[١٨] الأعراف: ٢٠١

الفائدة الثالثة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[١٩].

التقوى سبب لتفتيح البركات من السماء والأرض، تُفتح على الخلق بركات، فلما تأتي البركات يصبح كل شيء مبارك، أموالهم، أبناؤهم، بيوتهم، جهودهم.

ما يُقدم لأبنائنا اليوم من خدمات تعليمية، لو قارنتها بالخدمات التعليمية قبل عشرين سنة، ماذا تكون الخدمات التعليمية قبل عشرين سنة؟ لا شيء، وما النتيجة؟

النتيجة أن الآن لا شيء، طيلة المدرسة يقولون قلوبنا مقبوضة، ويوم الجمعة عندهم اكتئاب، يذهبون ويتعلمون سِباب جديد للعلم وأهله، أيام الاختبارات يمسكون الكتب ويقولون: أمنيتنا أن نحرقها ! فبعد أن وُفِّر كل شيء تكون هذه النتيجة؟!

وهذا على مستوى المدن، والقرى، والدول، ويكاد يكون على مستوى العالم، فبعد أن يتوفر العلم وتتوفر كل هذه الخدمات، يكون الأثر أنه لا شيء؟! وأن القوم المتعلمون هم الذين يزدادون سوءًا أخلاقيا، وتظهر مافيا الأطباء، وتظهر مافيا المهندسين، فيصبح هؤلاء الأطباء الذين درسوا هم قتلى الناس، والمهندسون يقتلون الناس ويسقطون عليهم البيوت، هل هذه هي آثار العلم؟ لذلك نُزعت البركات.

بسبب ماذا؟ بسبب عدم التقوى، مع التقوى اليسير ينفع، ومع عدم التقوى الكثير لا ينفع، أنت الآن اترك العالم وفكر في بيتك، إنْ تتق تنزل بركات على بيتك، وأولادك، وحياتك.

الفائدة الرابعة: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٢٠].

التقوى سبب في توفيق العبد في الفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما؛ أي أن الفتن لا تنتهي، وكل يوم تسمع في الواقع شيئًا كان حراما فحللوه، وفتن لا تنتهي، وآراء في مسائل، فكيف أعرف الحق؟ كلما ازددت تقى، جعل الله –عز وجل– لك نور تعرف به الحق من الباطل.

فتصور، أنت تتقي الله، فالعلم القليل الذي عندك مع المحبة، ثم يجلس في طاولة مع الذي يقابله من عاداتك وتقاليدك وموروثاتك، ثم تجعل هذا العلم يغلب هذا الموروث، أثره أن يُضاء لك، فالشيء الذي ليس لك فيه علم بَيِّن، أو أن الناس مختلفون فيه، يلقي الله في قلبك مشاعر البغض له لو كان حرامًا، ومشاعر الرضا عنه لو كان حلالًا.

لذلك هناك كثير من الناس في بلدان العالم يبحثون عن مُعَلِّم على منهج السنة يدلهم على ربهم، يبحثون يمينًا ويسارًا فلا يجدون، فيعبدون الله بعبادة التقوى، ثم يجعل الله لهم فرقانا، ويرشدهم إلى هذا الذي يبحثون عنه من حيث لا يحتسبون.

مثال: موقف حقيقي، شاب في الحرم كان يصلي، وفي الصلاة كان هذا الشخص يدعو أن يجمعه الله بأحد يدله على السنة، وفي قلبه حرارة لهذا الأمر، هو متمسك بالسنة ويعرفها لكنه يخالفها في أعماله وهو لا يدري، فأتته هذه المشاعر؛

---

[١٩] الأعراف:٩٦

[٢٠] الأنفال:٢٩

أنه لابد أن يكون هناك من يرشدك، فهذا بنفسه فرقان، لأن هناك كثيرون سائرون على ما في رؤوسهم، ويعتبرون أنه دين وسائرون عليه، لكن هذا برغم كل الجهل الذي حوله، لكن الله –عز وجل– جعل له فرقانا بأن يشعر أنه لابد أن يكون له معلم، فكان في الصف يصلي ويدعو الله، ثم يسلم من الصلاة، فيجد أمامه اثنين يتحاورون وأحدهم يخرج للآخر كتابا ويعطيه إياه، فيقفز هذا الشاب ويقول له: أعطني هذا الكتاب فقط أريد أن أراه، ويبدو أن هذا الكتاب كان عن أسماء الله، فرآه، ثم أمسك بتلابيب هذا الذي أخرج الكتاب، وقال له: من المؤكد أنك إجابة الدعاء، دلني على الله، لابد أن تدلني على الله!

فهو اتقى وبحث، وصلى خلفه! وهذا أين؟ هذا في الحرم المكي الذي كان الناس فيه هذه السنة، ولله الحمد في أقل الأيام مليونين، فلا يصلي خلف أي أحد ولكن يصلي خلف هذا الرجل، ثم يخرج الكتاب في ذاك التوقيت، ثم من اسم الكتاب يفرق أن هؤلاء أهل السنة، ثم يُدل على الحق، فماذا تقول؟ ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ .

يأتيك بمن يثبتك ويَدُلَّك على الحق، أنت لست وحدك، أبدا، أنت فقط اتق، وانظر إلى تأييد الله لك، وانظر كيف ينصرك الله، وكيف يشرح الله –عز وجل– صدرك.

الفائدة الخامسة: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[٢١] .

التقوى سبب للخروج من المآزق، وحصول الرزق، والسعة للمتقي من حيث لا يحتسب.

يقول ابن عباس رضي الله عنه على هذه الآية: "لو انطبقت السماء على الأرض لجعل الله للمتقى أبوابا يخرج منها!" أرأيت كيف عندما تضيق الدنيا وتنتهي تمامًا سيخرجك الله، لماذا هذا كله؟ لأنه كانت عندك حاجات مُلحَّة، شيء تريده، لكن تأتي بالعلم عن مساخط الله، وتقول بهذا العلم وبمحبة الله: لا تفعل، هذا يسخط الله.

لكن هذه حاجة بداخل نفسي! نقول: وإن كانت حاجة.

لكنني تربيت على هذا الأمر ! نقول: وإن كنت تربيت.

فمن المؤكد أن هذا المنع والتضييق على النفس سيكون أول آثاره أن تُفتح لك أبواب لا تمر على خاطرك، وما ضاق على العبد ضيق وهو متق إلا فُرج من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن يساره، ومن أمامه.

فعندما يأتي الفرج للمتقي يأتي مدهشًا! ولهذا في مواقف تكون فيها تقيًّا، وأنت لا تفهم التقوى جيدًا، لكن تكون تقيًّا يوم، أو ثلاثة، أو أربعة أيام ما أكلت، وتعففت أن تطلب أحدًا، وحبست قلبك على الله منتظرًا، فإذا بالجيران يعطونك، وأهلك يتذكرونك ويعطونك، وجارتك التي فوقك تعطيك، وفي المسجد يعملون فطورًا جماعيًّا ويجلبون لك منه، كل هذا في يوم واحد! لتفهم أن الله –عز وجل– لما يعطي يدهش، يقول لك: أنا مالك الملك لما حبست نفسك كان هذا العطاء.

[٢١] الطلاق:٢-٣

على كل حال ﴿مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ هذه وحدها تحتاج إلى دورة كاملة، وصُوَرها في الحياة لا تنتهي، وكل مرة يحصل في الداخل نقاش ومجاهدة، وهذه هي التقوى، لابد أن يأتي وراءها من عند الله مخرج لكنك لا تعرفه.

لذلك لا تأتي لنفسك وتقول: لا يوجد مخرج إلا الحرام، لا يوجد حل إلا أن أختلس، لا يوجد حل إلا أن أتكلم عن فلانة من أجل أن أدفع عن نفسي، لا يوجد حل إلا أن أقاطعهم، فنحن دائمًا نضع لأنفسنا أنه لا يوجد حل إلا الحرام، إلا الشيء الذي منعه الله، وهذا مباشرة يكسر طاولة النقاش في التقوى، فانتهى الأمر، ولا يوجد حل، لأنك قررت أن جانب اليسار وجانب الممنوع هو الموجود، والعلم والمحبة كل هذا ذهب.

فأنت بهذا طلبت لنفسك الضيق، فَوَالله ما تُرضي أهل الدنيا بالدنيا إلا يزيدون عدم رضا عنك، ووالله ما تأتي إلى فعل يكرهه الله فتفعله إلا وتزداد بلاء في الوقت الذي كنت تريد دفعه، ما تكذب إلا وتزيد المصيبة مصيبة، ما تسرق إلا ويأتي الفقر أنواعا، وهكذا.

فلا تتصور أن مخالفة أمر الله يأتي بخير، لكن هذا الغرور بسعة حلم الله جعل خلقًا كثيرين يتصورون أنهم عندما لا يتقون الله يصلون إلى مرادهم، هذا هو الغرور.

› **الفائدة السادسة:** التقوى سبب لنيل الولاية فأولياء الله هم المتقون.

ما معنى الولاية؟

الولاية: أي يحبك، ويرعاك، وينزل حبك في قلوب خلقه، ينصرك، يؤيدك، يسددك، يجري الخير على يديك، ويجعل لفظك كله صلاحًا.

انظر كيف عندما تدخل مع أحد وتكلمه، وتكون تقيًا، ويأتي أحد يكون في ضيق فيستشيرك، فلأنك تقي يجري الله على لسانك كلمات مباركة تنفع هذا الذي استشارك، فمثلا يقول لك أحدهم: أنا حالتي كذا وكذا، فتقول له كلمة في صميم حاله، فمن أين لك؟ فلا أنت تكشف – الحمد لله بعيدا عن البلاءات –، ولا تستعمل الجن، ولا أنت عالم بدقائق حاله، لكن التقي ولي، والولي إذا تولاه الله جعله مباركًا أينما كان، بقوله، وفعله، حتى اتخاذه للقرارات، هذا التعبير المبني على قاعدة من البيانات، يسخر الله له من المعلومات ما يصوّب به قراره، فترى عجبا.

فمن المواقف العجيبة أن يأتي أصحاب القرار ليتخذوا قرارا، فلو كانوا أتقياء فالله يحجب عنهم أحيانا بعض المعلومات التي ممكن أن تغير قرارهم الصائب، فهناك معلومات تجعلهم يذهبون يسارًا، ومعلومات تجعلهم يذهبون يمينًا، والصواب هو أن يذهبوا يمينًا، وهم لو رأوا كل المعلومات ربما اتجهوا يسارًا بعقولهم، فمن رحمته وولايته أن يمنع عنهم المعلومات، حتى لا يأخذون إلا القرار الصائب حتى بدون حيرة.

كله تراه عجبا من ولايته لهذا التقي، والتقوى ما زمنها؟ ما الجهد فيها؟ كلها ثوانٍ، لكن عدوك اللدود يمنعك من هذه الثواني، فتصبح بدون لجام تفعل ما يخطر على البال، وإذا أصبح لديك عقل، وفكرت فقط في المصلحة الدنيوية، لكن أهل التقوى علمهم مع محبتهم تغلب هواهم.

- **إذن ما هما العاملان اللذان بهما يصبح العبد تقيًّا؟**

علم ومجاهدة.

العلم: هو العلم عن الله، ثم العلم بمحبوبات الله، والعلم عن الله نفسه سيخرج لي نتيجة وهي محبته، والرجاء والخوف، والعلم بمحبوباته ومبغوضاته سيجعل عندي ميزانا.

والمجاهدة: هي طاولة النقاش، المجاهدة ستجعلني آتي بفكرتي، وموروثاتي، وقناعاتي، وتجاربي، فتجربتي أنني عندما أتعامل مع أناس مستقيمين كلهم كذابين، هذه هي تجربتي، فآتي بتجربتي وأضعها، ثم آتي من الجهة الأخرى بكل النصوص التي تدل على أن أهل الإيمان الحقيقيين لابد أن يكونوا صادقين، فآتي بها بعد النقاش الطويل، وأقول لها: اتق الله، ليس كل من قابلت من أهل الاستقامة كذابين، هؤلاء من المؤكد إما ضعاف نفوس أو ضعاف إيمان، وإما منافقين تلبسوا بصورة الإيمان، لكن اتق الله، لا تقل على كل من استقام أنه كذاب، وأنه يمثل، وأنه يريد مصلحة، اتق الله.

فأنت أتيت بتجربتك مع علمك الذي جاءك عن الله؛ أن أهل الإيمان فيهم صدق، أتيت بالاثنين معا، فالمجاهدة الآن أن تأتي بتجربتك وتضعها، وتقوي جانب ما علمت، وتجعل جانب ما علمت في النقاش يغلب جانب تجربتك، ويغلب جانب طبعك.

مثلًا: إذا كنت غضوبا، آتي بغضبي وأسبابه، لماذا أنت غضوب؟ ما الذي يغضبك؟ لا أريد أن يطأ أحد على طرفي!

فانظر كيف تكون هذه المواقف لتعرف كيف أن المجتمع يؤهل للناس أن يستجيبوا لهواهم.

شخص يذهب ليستخرج رخصة قيادة، وفي نفس التوقيت الذي يستخرج فيها رخصة قيادة يدخل فيها نادٍ لألعاب القوى، لكن من المناسبة بين الأمرين؟ أنه ينوي من بداية الموضوع أن يستعد لمقاتلة في الشوارع، هذا تفكيره، غضوب، لا يتحمل أن يميل عليه أحدهم، أو ينعطف عليه، أو يسبقه، لا يتحمل، فهو مستعد، فتصوري ذلك.

لماذا هذا الغضب كله؟ ففي مناقشة يقول لك: هل يظن أنني ضعيف ولا أقدر عليه؟

أي أن غضبه لنفسه، فهو يمثل انعطافه عليه بالسيارة أن الثاني ضعيف، فهو يمثل صفة الحلم والصبر بالضعف، فيأتي بصفته (الغضب) من رأسها في النقاش، ويأتي بصفة الحلم، وصفة الصبر، ويتناقشوا معا، فيقول: الصبر والحلم صفات كمال وليست صفات نقص، ونفسه تقول: لا، إنْ سكت عنه فهذا هو الضعف، ويصبح هناك مجاهدة، إلى أن يجعل هذا المفهوم يغلب هذا المفهوم.

وعلى ذلك كل تفاصيل النفس بهذه الصورة إلى أن تصل إلى التقوى.

نعم نحن نقول أننا كلما ازددنا تجارب مع العلم أصبحنا حكماء، لكن مشكلتنا الآن الكبار الناضجين، الذين هم بدون لجام! لأنهم ما مارسوا التقوى، فالتقوى تدريب وممارسة، فلمّا تمارسها وتذوق طعمها ستسير فيها، وأنت لن تكتشفي نفسك إلا في المواقف، لذلك نقول أن التقوى وليدة المواقف.

هناك رسالة للشيخ: ابن عثيمين –رحمه الله– اسمها (**فوائد التقوى في الدنيا والآخرة**).

انتهى اللقاء الأول ولله الحمد، يتبع اللقاء الثاني..